الفكر التحيزي الغربي في الحوار الحضاري، دراسة نقدية

(تحيزات الفكر الغربي حول شخصيته صلى الله عليه وسلم أنموذجا)

النذير بولعالي: أستاذ محاضر " أ "
كلية الآداب واللغات، جامعة المدية

ملخص

الحوار قيمة مجتمعية وحضارية سواء على المستويات الداخلية للمجتمع الواحد أو على المستوى الخارجي مع الآخر؛ غير أن هذا الآخر في الكثير من الأحيان ينحاز لمسلمات مسبقة هي من رواسب اعتقاديه وحضارية قديمة مما لم يسمح بتحقيق الاستقرار في الكثير من مناطق تعددت فيها الاعتقادات الدينية على المستوى البيني ولم يتحقق التقارب الدولي بيننا وبين الآخر وبالتالي تحقق الأمن والسلم الدوليين المنشودين؛ والذين لن يتحققا إلا بتراجع أطراف الحوار هذه عن تحيزاتها الفكرية والعقدية؛ والتي منها التحيز في الحوارات الدائرة بيننا وبين الآخر في مسائل نراها نحن عقدية والتي منها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

Abstract :

Dialogue is a societal and civilizational value on both internal and external levels of societies, this last, in a lot of cases is biased to previuos convictions based on ancient beliefs, the thing which prevents the realisation of stability in areas where different religions coexiste and prevents agreement with other countries, thus, failure in the realisation of international peace ans safety which will never exist unless the interlocuters give up their ideological and dogmatic bias. The problem appeares in dialogues discussing topics about religious beliefs specially when speaking about the prophet Mohamed (peace and blessing be upon him).

مقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم

الحوار كقيمة مجتمعية وحضارية لا يمكن أن تقوى عرى الدول ولا تنتقض إلا من خلاله أخذا وإعراضا فبتحققه تبني الأمم والشعوب حضاراتها وبانعدامه تهدم؛ والحوار كقيمة حضارية قد يكون داخليا وقد يكون خارجيا مع الآخر غير أن هذا الآخر في الكثير من الأحيان ينحاز لمسلمات مسبقة هي من رواسب اعتقاديه وحضارية قديمة مما لم يسمح بتحقيق الاستقرار في الكثير من مناطق تعددت فيها الاعتقادات الدينية على المستوى البيني ولم يتحقق التقارب الدولي بيننا وبين الآخر، وعليه فالسلام والأمن الدوليين مؤجل التحقق مؤقتا حتى تتراجع وترجع أطراف الحوار عن تحيزاتها الفكرية والعقدية؛ والتي منها التحيز في الحوارات الدائرة بيننا وبين الآخر في مسائل نراها نحن عقدية والتي منها نبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم؛ ففي حين نسلم ونؤمن ولا يصح إيماننا إلا إذا آمنا بنبوة كل الأنبياء والرسل كموسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء والرسل؛ نجد أتباع هذه الديانات لا يؤمنون بنبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم بل وازدادوا تطاولا عليه صلى اللّه عليه وسلم وعلينا بشتم وسب وتصوير لما لا يليق بحضرته صلى اللّه عليه وسلم غير مبالين بقدسية الأنبياء ولا بمشاعر المسلمين وهم طرف أساسي في أي حواري حضاري بين أهل الأرض؛ كيف لا وهم أكثر من ربع سكان الأرض فمحمد عليه الصلاة والسلام يؤمن به حول العالم الآن أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين؛ فكيف يستقيم أمر العالم والغرب بهذه النظرة لنبي يؤمن به أكثر من مليار ونصف المليار مسلم؛ وفي مقالنا هذا نحاول إبراز بعض الجوانب التحيزية في الفكر الغربي خاصة ما تعلق بها بالنبي محمد صلى اللّه عليه وسلم.

هدف الدراسة

تهدف دراستنا هذه إلى تصحيح طرق الحوار في وقت استضعفت فيه الأمة الإسلامية في مقابل الآخر المستغول في أطروحاته الفكرية من خلال الحوار الذي يزعمه؛ وبالتالي وضع أسس لمحاولة ترجيح كفة الحوار بين طرفين كل منها قد تخلى عن رواسب الحقب السابقة فنبدأ بنظرة جديدة علنا نصل إلى نقاط مواءمة واتفاق تساهم في بناء الحضارة الانسانية.

أسئلة الدراسة

يمكن للمسلمين طرح سؤال جوهري وهو؛ هل نستمر في الحوار مع الآخر أم لا؟ وإذا كانت الإجابة بلا فما هي بدائلنا؟ وإذا كانت الإجابة بنعم فهل بآليات الحوار السابقة أم أن على المسلمين فرض آليات جديدة للحوار؟

أهمية الدراسة

أهمية الحوار لا يمكن لأحد إغماطها ونكرانها ولذلك فهي أوضح من أن توضح فهي من الأهمية بمكان؛ ولذلك وجب التشجيع عليها في الأوساط الإسلامية سواء مع الداخل (الحوار البيني) أو مع الخارج (الحوار مع الآخر).

الدراسات السابقة

الحوار والفكر الحواري قديم وكتب فيه الكثيرون؛ فكانت مشاكل الإنسانية عبر العصور والأزمنة دافعة باتجاهه كلما أغلقت الأبواب الأخرى؛ فالمنهزم يطلب الحوار لأنه انهزم؛ والضعيف يحاور لأنه ضعيف ولا يقوى على المواجهة والقوي يحاور ويطلب الحوار لأنه يريد فرض آرائه بالطرق السهلة بعيدا عن الحرب وغيرها من الطرق الصعبة؛ ولذلك فالحوار وما يدور في فلكه من أفكار وقضايا متعلقة به تكلم فيها الكثيرون وكتبت حولها كتب وقامت الدراسات وأنشئت جمعيات ومؤسسات استراتيجية حوله؛ ولكننا نحاول الحديث عن بعض الأفكار التي نراها تبني وتكمل البناء الحواري؛ فالدراسات كثيرة ولا يسعنا في بحثنا هذا وفي صفحاتنا القليلة هذه إدراجها كلها ولعلنا ندرج عنوانين أو ثلاثة على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: كتاب الحوار مع أتباع الأديان؛ مشروعيته وآدابه لصاحبه الدكتور منقذ بن محمود السقار الباحث في إدارة رابطة العالم الإسلامي وهذا الكتاب من اصدارات رابطة العالم الإسلامي.

ثانيا: كتاب الإسلام وقضايا الحوار من إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية للأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق والذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور مصطفى ماهر وقد طبع بمطابع الأهرام التجارية بقليوب بجمهورية مصر العربية.

ثالثا: كتاب الحوار؛ أصوله المنهجية وآدابه السلوكية؛ لصاحبه أحمد عبد الرحمن الصويان؛ طبع بدار الوطن بالرياض في طبعته الأولى سنة 1413هـ.

منهجية بناء المقال

يمكنني بناء أفكار البحث من خلال التطرق للعناصر الآتية والتي تسمح لنا بالوصول إلى نتائج منهجية:

1. **التحيز**

تعريفه لغة: نقول تحيَّزَ الرَّجُلُ: آرادَ القيام فأبطأَ ذلك عليه. وتحيَّزَ إليهم: انضمَّ إليهم ووافقَهم في الرَّأي.وفي القرآن الكريم: **(مَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى**

فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (الأنفال آية 16). ويقال: هو متحيِّزٌ لفلانٍ: منضمٌّ إليه موافقٌ له في الرأي.[1]

تعريفه اصطلاحا

إن التحيز ظاهرة إنسانية معروفه؛ وقد يكون التحيز منتشرا فى حياتنا بدرجة أكبر مما يتصوره الكثيرون من أهل العلم والفكر فضلا عن العامة؛ ويعرف التحيز بأنه ميل العقل إلى جانب ما؛ ويعتقد المتخصصون في مجال الدراسات النفسيه أن سبب التحيز يرجع إلى حدوث ما يسمى بظاهرة التنافر المعرفى.

والتحيز لا يمكن اعتباره مجرد مسألة فكريه؛ ولكن له جوانب فكرية (معرفية) وعاطفية وسلوكية؛ ولا ينحصر التحيز فى سلوك الأفراد بل يمتد ليشمل الجماعات والمؤسسات؛ وربما يطرح البعض فى هذا السياق عددا من الأسئلة: هل من الممكن أن نمنع التحيز فنعيش في عالم بلا تحيز؟ هل يمكن أن ينحصر مسار الأفراد والجماعات فى خط مستقيم لا ينحاز يمينا أو يسارا؟ هل الانحياز سلوك طبيعي من لوازم الحياة؟ هل يمكن أن يكون الانحياز هو المسار الذى يختار أن يسلكه أهل الحق أو أهل الباطل على السواء؛ فينحاز أهل الحق إلى ما يرونه حقا؛ وأهل الباطل إلى ما يقررون اختياره سواء كان ذلك حقا أم باطلا؛ والحق والباطل هنا ليس بالضرورة قاصرا على المعنى الشرعى ولكن بالمفهوم العام؛ كالصواب والخطأ؛ والعدل والظلم؛ والجميل والقبيح؛ إلا أنه يجب علينا أن نتنبه إلى أن أمور الحياة ليست دائما واضحة لا تحتمل اللبس؛ فأمور الحياة ليست قاصرة على الأبيض والأسود أو الشيء ونقيضه؛ ولكن هناك درجات كثيرة تتوزع على نطاق ممتد بين الشيء وضده؛ فبين الأبيض والأسود توجد درجات متعددة من اللون الرمادي؛ وهذا يقبل في الأمور التى تحتمل الرأى ووجهة النظر أو الاجتهاد البشرى؛ ولكن هناك أيضا أمورا لا تحتمل إلا الوضوح الذى لا لبس فيه؛ وهذا الذي نود طرحه في نقاط التقاطع التي قد نجدها بيننا وبين الغرب في مسائل كثيرة؛ ولكن أشك في أن نجد مثلها في مسألة رفض نبوته صلى الله عليه وسلم والكيل بمكيالين في مسألة إثبات النبوات[2].

بين فقه وفكر التحيز

يطلق مصطلح "فقه التحيّز" على تخصص جديد يركّز على دراسة وتحديد عناصر التحيّز في العلوم الإنسانية والاجتماعية وكشفها والتي منها علوم الدين وخصوصاً التحيزات الغربية الكامنة في المناهج التي يتمّ استخدامها في العلوم الغربية، والتي تبدو أنها محايدة

كما يظن كثيرون، ولكنها تعبّر في الغالب على مجموعة من القيم الكامنة المستترة في النماذج المعرفية والوسائل والمناهج البحثية التي تحدد مجال الرؤية وطريقة البحث الغربية وتقرر كثيراً من النتائج مسبقاً[3].

وجاء مصطلح" فقه التحيز" كأداةً لتحديد التحيزات الغربية الكامنة في المناهج والأدوات التي يستخدمها الباحثون العرب في دراساتهم[4]؛ لأنها أكثر التحيزات شيوعاً وخطورة، فكثيرون يرون القيم الغربية على أنها قيم عالمية؛ ويتبنونها دون إدراك لخصوصيتها الغربية؛ وسواء كان هذا التبني يتم بوعي أم بدون وعي فإن هذه التحيزات الكامنة تخلق ترابطاً اختيارياً بين الباحث وهذه الأفكار، ويجد الباحث نفسه متحيّزاً لبعض الظواهر والأفكار؛ ويهمل أو يستبعد بعضها الآخر مما يقع خارج نطاق الاستعارات والنماذج الكامنة.

قواعد ومميزات فهم التحيز في الحوار

من القواعد الأساسية التي تساعد على فهم التحيّز وتمييزه؛ نجد :

أولا : حتمية التحيز

وهذا لأنه مرتبط ببنية عقل الإنسان ذاتها؛ فهذا العقل لا يسجّل تفاصيل الواقع كالآلة الصمّاء؛ فهو عقل فعّال يدرك الواقع من خلال نموذج فيستبعد بعض التفاصيل ويبقي بعضها الآخر؛ وهذا ما يتضح ويتجلى لنا في المواضع التي سقط فيها الكثير من الغربيين في حديثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي بيانه، كما أن التحيّز لصيق باللغة الإنسانية المرتبطة إلى حدّ كبير ببيئتها الحضارية؛ وأكثر كفاءة في التعبير عنها. فلا توجد لغة تحتوي كل المفردات الممكنة للتعبير عن الواقع بكل مكوّناته، بالإضافة إلى أن التحيّز مرتبط بإنسانية الإنسان؛ أي بوجوده ككائن غير طبيعي لا يردّ إلى قوانين الطبيعة العامة ولا ينصاع لها؛ فكل ما هو إنساني يحوي على قدر من التفرّد والذاتية ومن ثمّ التحيّز، وهي ميزة مشتركة في اعتقادي بين كل الإنسانية؛ ولكنها قد تطغى عند البعض دون غيرهم فيؤدي بهم إلى الانحياز الضار بالآخر.

ثانيا : نسبية التحيز ومحدوديته الفكرية

فالتحيّز ليس بعيب أو نقيصة بل على العكس يمكن أن يُجرّد من معانيه السلبية ويصبح هو حتمية التفرّد والاختيار الإنساني[5].

واللغة الإنسانية رغم حدودها قادرة على تحقيق التواصل وعلى مساعدتنا على تجاوز أشكال كثيرة من التحيّز؛ وعلى بناء نماذج معرفية هي نتاج تجربتنا الحضارية الخاصة

ولكنها بنفس الوقت تساعدنا على التعامل مع أنفسنا ومع واقعنا ومع الآخر؛ في إطار الإنسانية المشتركة والقيم الأخلاقية الإنسانية.

كما أن التحيز أنواع كثيرة في شكل تقابلي يبرز الأنا والآخر في اعتقادي فهناك تحيّزاً للحق وتحيّزاً للباطل؛ وهناك تحيّز واضح واع وتحيّز مستتر كامن غير واع؛ وهناك تحيّز حاد وقوي؛ وتحيّز متوسط القوّة أو ضعيف؛ وهناك تحيّز داخل التحيّز؛ حيث يتمّ التركيز على أفكار بعينها دون سواها؛ وتحيّز لعدد من الأفكار تنتمي لأنساق معرفية مختلفة ومتناقضة ويتمّ تبنيها كلها؛ وهناك تحيّز كلي وآخر جزئي؛ وهناك تحيّز ليس له نظير في الحضارات السابقة؛ والذي يفرض علينا أنماطاً من السلوك تناسب المنظومة القيمية الغربية مثل السرعة والكفاءة والتنافس[6].

آليات فهم وتجاوز التحيز

لفهم التحيز وتجاوز سلبياته لا بد من توافر بعض الأساسيات[7]؛ وهذه الأساسيات ترتكز إلى عدة نقاط أهمها:

أولا: إدراك حتمية التحيز وضرورة نقده

فإدراك حتمية التحيّز هو أولى الخطوات لتجاوزه؛ فالعقل الإنساني قاصر ولكنه فعّال؛ وهو يواجه الواقع المركب ويتفاعل معه، فيبقي ويستبعد ويجرّد وينفي ويصحح ويركّب ويصوغ نماذجه المعرفية الخاصة التي يدرك العالم من خلالها. وهذا الإدراك لحتمية التحيّز يساعدنا على فهم السلوك الإنساني المرتكز على تلك النماذج المعرفية التي يصوغها العقل البشري من خلال تفاعله مع الواقع.

ونقد التحيّز يجب أن لا يقف عند الجانب التطبيقي فقط؛ بل يجب أن ينصرف إلى مجمل البناء النظري الذي يفرز هذا التحيّز.

ثانيا: توضيح نقائص ونقائض النموذج المعرفي الغربي في الحوار

إن توضيح نقائص النموذج المعرفي الغربي في الحوار ستساعدنا على التحرر من قبضته المهيمنة والتي تجعلنا نسير في أبحاثنا المعرفية على خطاه. فهو نموذج معرفي معاد للإنسان يتعامل معه باعتباره شيئاً مادياً ليس له أي خصوصية تميزه عن باقي الأشياء.

هذا بالإضافة إلى ذلك التصور المغلوط عن قدرة الإنسان على التحكم بالواقع وتناقص رقعة المجهول مقابل اتساع رقعة المعلوم؛ ومحاولة الوصول إلى مستويات عالية من التعميم لا تبررها المعرفة عند من قاموا بهذا التعميم؛ وهذا ناتج أساساً عن نظرتهم المادية للإنسان .كما يجب أن ندرس جوانب القصور التي ظهرت في المجتمعات الغربية من خلال

التطبيقات المختلفة لهذا النموذج، وبالتالي ندرس الأزمات التي ظهرت بسبب تطبيقه؛ والتي تناولها الكثير من المفكرين الغربيين أنفسهم؛ والتي أفرزت كما وصف الدكتور المسيري الفكر الاحتجاجي أو المضاد؛ والذي ينطوي على رفض للنماذج العلمية المادية العامة.

كما يجب دراسة الظواهر السلبية التي صاحبت الحضارة الغربية؛ والتي يصنفها بعضهم على أنها مجرد انحراف وهي في الحقيقة شيء أساسي فيها لا مجرد استثناء[8].

ويجب دراسة المراجعات الجديدة للتاريخ الغربي؛ ولعلم النفس وعلم اللغة والعلوم الطبيعية وعلوم الدين.

ثالثا: نسبية ومحدودية الافكار الغربية بالنظر للمشترك الانساني العام

إن نقد الحضارة الغربية لا يهدف إلى الفضح والانتقاص؛ ولكنه نقد بهدف الفهم والاستيعاب؛ وعزل ما هو خاص غربي عما يصلح أن يكون عاماً وعالمياً(فكر إنساني) وبهذا نستعيد تبيان خصوصيته ومحليته، فالغرب يجب أن يصبح غربياً لا عالمياً؛ لأنه تجربة حضارية يوجد في العالم تجارب حضارية كثيرة غيره .

وللتخلص من الإحساس بمركزية الغرب؛ ونزع صفة العالمية عنه؛ يجب إدراك خصوصية الحضارة الغربية والظروف التاريخية والثقافية التي أفرزتها؛ وكذلك مصادرها والمؤثرات التي ساهمت في تشكيلها، ولا ننس إدراك خصوصية حضارتنا وروافدها الأساسية؛ فإحساسنا بقيمة ما لدينا يهون في أنفسنا قيمة ما عند الغرب.

رابعا: الانفتاح على العالم (على الإنسانية)

يجب التعرف على الحضارات الأخرى المنتشرة في العالم؛ التي تمّ تجاهلها على حساب الاهتمام بالحضارة الغربية فقط، كحضارة اليابان وحضارات إفريقيا وغيرها؛ وحتى من بعض أفكار الحضارات القديمة. هذا الانفتاح سيؤدي إلى إصلاح التشوه المعرفي الذي أصابنا؛ والمتمثل في ترسيخ فكرة مركزية الغرب وعالميته، وبالتالي فإن إدراك التحيّز سيحررنا من الحقائق المطلقة التي حجب عنا إيماننا بها الانتباه لغيرها، كما أن إدراكنا للتحيّز سيجعلنا نملك القدرة على النقد والفعالية وعدم تلقي المعارف بسلبية بل بوعي وتعقّل[9].

خامسا: التأسيس للأنموذج الإسلامي:

كما سبق وأن ذكرت فإن قدرتنا على الإحساس بما لدينا من موروث حضاري يمكننا عندها فقط طرحه كبديل؛ هذا البديل هو الذي يجب أن نتعامل من خلاله في مناهجنا البحثية بدلاً عن تلك المطلقات التي أفرزها تحيزنا للنموذج المعرفي الغربي.

هذا البديل يقوم على أسس تراعي خصوصيتنا الحضارية؛ ومنطلقاتنا النظرية والعقدية؛ وكذلك نظرتنا للكون والإنسان. فالنموذج المعرفي البديل الذي يجب أن نستخدمه في أبحاثنا ودراساتنا وتحليلنا للظواهر والأحداث لا بد أن يكون نابعاً من تراثنا الذي هو مجمل تاريخنا الحضاري؛ وهو نموذج حضاري أساسه القرآن والسنة اللذان يحويان القيم الإسلامية، فالإسلام بالنسبة للمسلمين عقيدة وهو النواة الأساسية للحضارة التي ينتمون إليها، ولا يجب أن ننس هذا ونستحضره على الدوام أثناء حواراتنا المختلفة مع الآخر المتحيز في نظرنا.

وهذا لا يعني أن ننسخ حرفياً اجتهادات السابقين من علمائنا؛ ولكن يجب استخلاص القواعد الكامنة في إبداعاتهم واجتهاداتهم؛ وبالتالي استخدامها والبناء عليها لقراءة التراث الحضاري لأمتنا مع طموحنا للوصول إلى نظرية شاملة نعرف مسبقاً أنها لن تكون قادرة على تفسير كل شيء بشكل نهائي؛ لأنها نظرية شاملة نسبياً وهو ما يميز كل ما هو ممكن إنسانياً؛ وبتنفيذ الإنسان المسلم الواعي المدرك لهذا المنهج بعيدا عن تلك النظرة الضيقة التي تفترض أن ثمة نقطة واحدة تتقدم نحوها كل الظواهر وكل البشر وكأن هناك أمة واحدة ومعرفة واحدة؛ وهذا يتنافى مع العقل ومع التجربة الإنسانية وتنوعنا الإنساني، فالحكمة ضالة المسلم أنى وجدها فهو أحق الناس بها؛ ونحن كمسلمين نعترف بفضل الآخر على الحضارة الإنسانية فما على الآخر إلا أن يبادلنا الأمر والنظرة ذاتها دون تحيز ودون نظرة دونية خاصة ونحن نتحاور معه في مسائل ذات أبعاد اعتقاديه كالحديث عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مثلا؛ وهي من المسائل الحساسة لدى كل مسلم وقد نتناولها في تحيزات الفكر الغربي في بعض ثنيات هذا البحث[10].

2. **الحوار**

تعريفه لغة: يعرف الحوار لغة على أنه[11]:"أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء".يقول ابن منظور:" الحَوْر:هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء". والمحاورة: المجاوبة والتحاور التجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة "[12]. وهذه المعاني اللغوية وردت في سياق الآيات الكريمة التي ورد فيها مادة (حور) والتي منها:

قوله تعالى: **(إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ)** (الانشقاق:14). قال القرطبي: "أي لن يرجع حياً مبعوثاً... فالحور في كلام العرب الرجوع". وقال تعالى: **(وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)** (الكهف 34). قال القرطبي: "أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور التجاوب"[13].

وقال تعالى: **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)** (المجادلة: 01)، أي: "تخاطبكما في الكلام"[14].

وورد هذا المعنى أيضاً في غير ما حديث مروي عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من: **(الحَوْر بعد الكَوْر)**؛ يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة[15].

وعَنْ أَبِي ذَرّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **(مَنْ دَعَا رَجُلا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلا حَارَ عَلَيْهِ)**؛ قال النووي: "رجع عليه"[16].

ومما سبق تبين أن الحوار في معناه اللغوي هو مراجعة الكلام وتداوله، وهو ما يكون عادة بين شخصين أو بالأحرى بين طرفين أو أكثر.

تعريفه شرعا واصطلاحا:

قبل أن نورد التعريف الاصطلاحي للحوار يمكن أن نُذَكِر بالآتي: 1) الإسلام يرى بأن الطبيعة الإنسانية ميالة بطبعها وفطرتها إلى الحوار أو الجدال كما يطلق عليه القرآن الكريم في وصفه للإنسان **(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)** (الكهف 54).

2) صفة الحوار أو الجدال لدى الإنسان في نظر الإسلام تمتد حتى إلى ما بعد الموت، إلى يوم الحساب كما يخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى:**(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** (النحل 111).

3) الإسلام يرى بأن المنطلق الحقيقي للحوار هو (ضرورة البحث عن الحق ولزوم أتباعه) **(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)** (يونس 32)، وقوله تعالى أيضا: **(قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** (القصص 49).

4) القرآن الكريم أولى الحوار أهمية بالغة في مواقف الدعوة والتربية، وجعله إطارا لتوجيه الناس وإرشادهم إذ فيه جذب لعقول الناس، وراحة لنفوسهم.

5) الأسلوب الحواري في القرآن الكريم يبتعد عن الفلسفات المعقّدة، ويمتاز بالسهولة، فالقصة الحوارية تطفح بألوان من الأساليب حسب عقول ومقتضيات أحوال المخاطبين الفطرية والاجتماعية.

6) تميز بلين الجانب وإحالة الجدل إلى حوار إيجابي يسعى إلى تحقيق الهدف بأحسن الألفاظ، وألطف الطرق، قال تعالى: **(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)** (طه44/43).

وعموما فإن تعريفات أهل الاصطلاح للحوار لم تبعد عن المعاني اللغوية السابقة، فقد أكدتها وأضافت إليها بعض المعاني والقيم الأخلاقية التي ينبغي توفرها في الحوار.

ومن هذه التعريفات:"مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين؛ وعرفه بعضهم أيضا بأنه: (نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين؛ يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب)؛ وهو ضرب من الأدب الرفيع؛ وأسلوب من أساليبه" وعرّفه آخرون بأنه: "محادثة بين شخصين أو فريقين؛ حول موضوع محدد؛ لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة؛أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل؛ مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة؛ ولو ظهرت على يد الطرف الآخر"[17].

وهكذا فالمحاورة هي تجاذب الكلام بين المختلفين، وما أضافه العلماء في تعريفه من شروط إنما هي ضوابط أخلاقية يفترض توفرها في الحوار ليكون مثمراً ومجدياً."

غاية الحوار

إن الغاية من الحوار هو إقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون بين المتحاورين على معرفة الحقيقة والتّوصّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي عن صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق. يقول الحافظ الذهبي: (إنما وضعت المناظرة لكشف الحقّ، وإفادةِ العالِم الأذكى العلمَ لمن دونه، وتنبيهِ الأغفلَ الأضعفَ).

هذه هي الغاية الأصلية، وهي جليّة بيّنة، وثمة غايات وأهداف فرعية أو مُمهّدة لهذا الغاية كإيجاد الحلول الوسطى التي تُرضي الأطراف جميعا؛ وكذا التعرّف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى، وهو هدف تمهيدي هام خاصة في الحوارات البينية الداخلية بالإضافة للبحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنويع الرّؤى والتصورات الممكنة والمتاحة، من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمْكَنَ، ولو في حوارات مقبلة؛ فأبواب الحوار دائما مشرعة في اعتقادي وهو ما يبقي المجتمعات سليمة دوما من أية هشاشة مفاجئة قد تنخر وحدتها ومن ثم قوتها؛ ويبقى مهم جدا أن ننبه إلى ضرورة التجرد والموضوعية بعيدا عن التحيز الفكري المسبق في الحوار[18].

3. بعض تحيزات الفكر الغربي حول شخصيته صلى الله عليه وسلم[19].

لقد طعن الكثير من المفكرين الغربيين في شخص سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم في جوانب كثيرة من شخصيته سواء البشرية منها أو النبوية ومنها:

أولا : نفي صفة النبوة عنه

الفكرة العامة التي تدور عليها جل إدعاءات الفكر الغربي في حق نبينا صلى الله عليه وسلم تدور حول نفي صفة النبوة عنه؛ ثم اختلافهم بعد ذلك في وصفه؛ هل هو مفكر أم رجل إصلاح أم أم أم ... إلى أن خلصوا في نهاية المطاف إلى أنه نبي مرسل ولكن للعرب فقط لأنه عربي فكيف يخاطب غيرهم وبأي لسان على اختلاف ألسنتهم؛ غير أننا نقول بأي لسان كان يتحدث سيدنا المسيح عليه السلام ولماذا تقولون بأنه مخلص العالم فبأي لسان يحدثهم هل بالسريانية أم بماذا؟[20] ، إنه تحيزهم غير المبرر ليس إلا في اعتقادي.

ثانيا : رجل شهواني

يعتبر بعض علماء الغرب أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل شهواني؛ والسبب في نظرهم هو أنه تزوج بتسع نسوة؛ وله عدة جواري؛ وإن ساغ هذا لواحد من عامة الناس فإنه لا يسوغ لرسول من عند الله يدعوا إلى الروحانية ويصل الناس بالله؛ ويحثهم على تزكية النفس ومداومة مراقبه الله والدار الآخرة وبالتالي فإن محمدا صلى الله عليه وسلم في نظر هؤلاء رجل دنيا وليس رجل دين؛ وبذلك لا معنى لما يقال عنه من أنه أتقى الناس وأعرفهم بالله وأخشاهم له؛ ولكننا نقول بأن الإسلام لا رهبانية فيه فهو دين العامة والخاصة؛ فهل أمر الله بعدم الزواج للأنبياء في ديانتكم؛ وإن كان بنعم فلماذا تريدون سحب تعاليم الإنجيل والتوراة على الدين الإسلامي؟[21].

ثالثا : رجل دنيا

يعتبر بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بما لا يتفق مع وظيفة الرسالة التي كلف بآدائها للناس حينما كان يحب النساء والطيب؛ كما كان يصرح دائما؛ لأن حب النساء والتزين وإصابة الطيب وحب الظهور بمظهر جميل من الملابس يتنافى والروحانية التي يجب أن يتحلى بها رسل الله وأنبياؤه[22].

رابعا : استفاد محمد دينه من غيره

يعتبر الكثير منهم أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا مجرد رجل زعم أن الله أوحى إليه دينا من عنده؛ وأنزل عليه كتابا وشرع له شريعة؛ فإن كل ما ادعاه النبي صلى الله عليه وسلم حسبهم ما هو إلا مجرد آراء وأفكار انتخبها من الأديان والفلسفات والنحل السائدة آنذاك والسابقة لعصره من اليهودية؛ والنصرانية؛ والمجوسية؛ والوثنية؛ بعد تهذيب وصقل، ونقول هل يمكن أن نسحب ذات التجني على من سبقوه بالرسالة والنبوة فهل يصح مثلا أن نقول بأن سيدنا المسيح عليه السلام انتخب الدين المسيحي ممن سبقوه من

الرسل والأنبياء والفلاسفة؛ و جوابكم وجوابنا الأكيد سيكون بلا؛ ولكن لماذا نرضى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما لا نرضه لسيدنا المسيح عليه السلام؟ أكيد الجواب عندكم[23].

خامسا: محمد ليس قدوة لأتباعه

يعتبر بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن قدوة لأتباعه؛ منذ أن أعلن نفسه نبيا موحى إليه من عند الله؛ كما يدعيه المسلمون؛ وإنما علمُ الكلام الذي جاء بعد ذلك هو الذي رسم هذه الصورة الأسطورية للرسول الكامل؛ ثم أضفى (علم الكلام) هذه الهالة من الكمالات على شخص محمد صلى الله عليه وسلم رويدا رويدا عبر التاريخ الإسلامي الطويل، وهذا يوضح بجلاء جهل هؤلاء بالدين الإسلامي ومن جهل أمرا أخطأ في حقه وفي حق أهله وهو أمر جلي وواضح في هذه المسألة[24].

سادسا: رفض محمد عامدا فكرة أن الله استراح في اليوم السابع

يدعي بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم رفض عامدا فكرة أن يكون الله قد استراح في اليوم السابع عندما خلق السموات والأرض؛ ولذلك لم يجعل يوم السبت يوم راحة وهي الفكرة التي يعتقدها اليهود خاصة[25].

سابعا: عيسى افضل من محمد

يزعم بعضهم أن عيسى عليه السلام أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمره الله بالاستغفار لذنوبه التي تشبه ذنوبنا نحن البشر؛ بينما عيسى لم يؤمر بالاستغفار؛ لأنه لا ذنب له أصلا فهو إله نزل من السماء إلى الأرض ليخلص البشرية من الخطيئة الأبدية التي يتوارثها الناس من آباءهم منذ خطيئة آدم وحواء الأولى، ولكن في عباداتنا المختلفة سواء كانت مالية أو قولية أو جسمية كفارات للذنوب كثيرة وهي بين العبد وربه مباشرة ودون واسطة كهنوتية أو غيرها مما نجده عند أهل بعض الديانات؛ فلماذا يريد البعض منا أن نستنسخ فكرة صكوك الغفران كما هو في الديانة المسيحية؟[26].

ثامنا: السنة النبوية من كلام الفقهاء

يعتبر الكثير منهم أن السنة النبوية من كلام الفقهاء؛ وهي زيادات وضعت لتضخيم حجم الإسلام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وقد نقل أتباع النبي صلى الله عليه وسلم السنة النبوية عن الأمم والنحل الأخرى[27]؛ كما ينكرون ثبوت الأحاديث المروية عن النبي التي توافق القرآن؛ وكأن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تناقض القرآن الكريم؛ فكيف برأيهم يناقض النبي المرسل إليه بأقواله ما أنزل إليه من ربه في فكان هذا لسان حالهم؛ إلى أن قالوا في بعض ادعاءاتهم بإنكار الأحاديث النبوية واعتبارها من وضع أجيال

المسلمين المتعاقبة؛ ثم اختلفوا بعد ذلك في اعتبار جزء من السنة منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم وآخر مختلق كإنكار ثبوت الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي توافق القرآن الكريم كما سبق وأن ذكرنا[28]، وقد بين الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أن مؤتمرات المستشرقين المتخصصة في إفساد الفكر الإسلامي تعمل متخفية وراء بعض المسلمين السذج المخدوعين أو الخادعين كالذين يدعون إلى ترك السنة النبوية والاكتفاء بالقرآن الكريم[29].

تاسعا : طعن الكثير منهم في سيرته صلى الله عليه وسلم

وهذا من خلال النقاط المرصودة من خلال كتابات الكثير منهم وتصريحاتهم في مختلف المناسبات وهي كالآتي:

1- تاريخ ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم غير معروف بالضبط وربطه بعام الفيل ربط بحادث قومي بالنسبة لقريش.

2- ملك محمد صلى الله عليه وسلم موهبة النبوة في سن الأربعين.

3- القرآن الكريم من صياغة محمد صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه قوم آخرون من كهنة وسدنة معابد ورجال أديرة.

4- كان يتم الوحي في المنام.

5- كان النبي صلى الله عليه وسلم ينسخ بعض الآيات ويأتي بأخرى محلها.

6- محمد صلى الله عليه وسلم وإن أرسل إلى العرب فإنه تجاوز حده واعتبر نفسه رسولا إلى كافة الناس.

7- تعب النبي صلى الله عليه وسلم وأتعب نفسه من استهتار العرب بالدين وعدم ميلهم إليه.

8- طلبهم بتعليل كل الحوادث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والهدف من وراء هذا هو البحث والتنقيب عن بعض المثالب هنا وهناك.

9- حارب الإسلام في بدر معتديا؛ وشن المسلمون هجومهم على قافلة المشركين لأنهم مشركون مستباحون[30].

10- إن الجهاد في الإسلام هو بدء الكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله؛ ولنشر الإسلام وكان الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف ودون اقتناع ممن اعتنقوه.

11-اتهامه صلى الله عليه وسلم بأن خروجه إلى بدر لأخذ قافلة قريش هو الخروج للقتال؛ فهو البادئ بالقتال؛ فقريش كانت دولة؛ ولم تكن بعد قد اعتدت على الرسول أو على المدينة حتى يدافع عنها ؛ بل هو الذي بدأهم بالقتال.

12- إن قيام النبي صلى الله عليه وسلم بإرسال الجيش إلى مؤتة لقتال الروم؛ وتوجهه إلى تبوك مقتربا من حدود الروم؛ لمقاتلتهم ظاهر كل الظهور وأنه هو من بدأ بالمقاتلة.

13- أغار الرسول صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم فباغتهم دون دعوة ودون انتظار إيمان ودون إتاحة أية فرصة للنجاة.

14- معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود بالحسنة هي احتيال زعيم سياسي[31].

15- عدم معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود كما عامل صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل عند فتح مكة رغم العداوة التي كانا يكنانها للإسلام؛ فيه بغض لليهود[32].

4. أسباب وقوع الآخر في أخطاء منهجية ومعرفية وفكرية حول سيرته صلى الله عليه وسلم

يمكن حصر أسباب وقوع الآخر في أخطاء منهجية ومعرفية وفكرية حسب بعض علماء الإسلام كالشيخ محمد الغزالي رحمه الله في الآتي:

أولا: قلة الاطلاع وعدم التعمق في القضية المبحوث فيها

وذلك بتتبع كل ما يتعلق بها بشكل دقيق؛ وهو ما يؤدي إلى عدم الولوج إلى عمق هذه القضية وجذورها بإمعان النظر فيها ومعرفة ملابساتها واستشراف ما وراءها.

ثانيا: سوء الفهم :

من أمثلة أخطاء المستشرقين في فهم تفسير النصوص الإسلامية خطأ جولد تسيهر ــ رغم ادعاءه الإطلاع على اللغة العربية ــ في فهم آيات من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا)** (الأحزاب الآية46/45). وقوله تعالى: **(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** (الأحزاب الآية 21).

فقد فهم جولد تسيهر من الآية الأولى أن الرسول رجل قوال فقط يرشد الناس بلسانه؛ أما سيرته ومسلكه فليست مما يقلد فيه؛ وليست مثلا أعلى للآخرين؛ أما الآية الثانية فقد فهم تسيهر معناها على أن الرسول هو الذي يرجو الله واليوم الآخر؛ وأنه لم يتجاوز مرتبة الرجاء في الله لأن عمله لا يرشحه إلا لهذه المرتبة، ويرى الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في رده على هذا؛ أن فهم تسيهر هذا بالغ التهافت والهزل فكيف يوصف رجل بأنه سراج منير إذا كانت أخلاقه وأعماله مظلمة؛ أو دون ما يقول؟ ولماذا تختار السماء رجلا صريع ضعفه الإنساني ليتحدث عنها؛ أما الآية الثانية فإنها ناطقة لأن على المؤمنين الإقتداء برسولهم؛ فليستعينوا بالرجاء في الله؛ والإعداد لليوم الآخر والإكثار من الذكر فإنه لن يستطيع التأسي بالرسول الكريم إلا من استجمع هذه الخصال الشريفة[33].

ثالثا: الخطأ في طرح الإشكال

يقع بعض المستشرقين في بعض دعاويهم ضد الإسلام والمسلمين عامة وحول سيرته وحياته ودعوته صلى الله عليه وسلم في خطأ منهجي يكمن في طرح الإشكال طرحا غير صحيح؛ ولا يتفق مع النتيجة التي يعلنونها فيما بعد إجابة عن هذا الإشكال لذلك يلفت الشيخ الغزالي رحمه الله النظر إلى هذا الخطأ حتى يبطل النتيجة من أساسها؛ بحيث لا يعتد بها ومثاله رد الشيخ محمد الغزالي على اتهام بعض المستشرقين منهم توماس أرنولد؛ بأن الإسلام دين سيف وأن الحكم في رحابه جعله صلب العود حيث فقد رد الشيخ الغزالي بتوجيه اتهام المستشرقين هذا إلى هجوم عليهم؛ وذلك بشرح حقيقة الحكم في الإسلام؛ ثم تحرير الموضوع الذي يجب طرح التساؤل عنه وهو: هل كان الحكم في الإسلام أساسا لفتنة غير المسلمين في دينهم؟ هل كانت الدولة في خدمة الدعوة من حيث استغلال أجهزتها للفتنة والإعنات؟

والإجابة عن هذا التساؤل يستقيها الشيخ محمد الغزالي رحمه الله من كلام توماس أرنولد كيف أن الإسلام لا توجد فيه هيئة منظمة للدعاة وأن انتشاره خضع أولا وأخيرا لحماسة الأفراد وقوة إيمانهم بصدق رسالتهم وعظمة دعوتهم.

والإسلام في هذا يخالف النصرانية التي قامت فيها أجهزة منظمة للتنصير والدعاية على أوسع نطاق.

رابعا: نكران ما تحقق تواتره

من الأسباب الرئيسية التي تجعل دراسات المفكرين الغربيين حول الإسلام بعيدة عن الموضوعية حسب الشيخ محمد الغزالي أن جلهم ينكرون الحقائق التي لا مجال لنكرانها حيث أنها ثبتت بالتواتر الذي يؤدي إلى اليقين؛ كنكرانهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث يرون أنه صلى الله عليه وسلم ليس رسولا كلفه الله بدين وأيده في بيانه ونصره بالوحي من عنده جل وعلا.

فهم يعتنقون هذه الفكرة؛ ويفسرون على ضوئها تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم التي تعرضوا لها بالنقد؛ لذلك تجدهم يصبغون الحقائق بلون ينضح بتكذيبهم للإسلام وتخيلهم العليل لحقيقة الرسالة الخاتمة[34]؛ وجاءت تفسيراتهم لأعمال النبي صلى الله عليه وسلم وتصرفاته غريبة وعجيبة وبعيدة عن الروح العلمية[35].

يرى الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أن المستشرقين ليسوا مطالبين بالإيمان بأن محمد صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله يوحي إليه كما أوحى لإخوانه من الأنبياء والرسل من قبل؛ بل هم مطالبون بالتزام الحياد العلمي الدقيق الذي يقتضي التسوية بين

رسالتي عيسى ومحمد عليهما السلام وجميع الرسالات السماوية والرسل فلا يؤمن بإحداها ويكفر بالأخرى[36].

خامسا: سوء التفسير والتأويل

من الأولويات البديهية التي يتطلبها المنهج العلمي السليم أن رفض وجهة نظر ما يتطلب بيان وجهة النظر هذه؛ وذلك من خلال فهم أصحابها لها لا من خلال فهم معارضي هذه الفكرة؛ ثم موافقتها بعد ذلك أو مخالفتها، وهذا ما يعمل به جلهم حسب الشيخ محمد الغزالي[37].

خاتمة:

بوصولنا إلى خاتمة المطاف بعد تجوالنا بين محطات أساسية في بحثنا هذا في اعتقادي وهي محطات مفصلية في موضوع التحيز في الحوار بين الأنا الذي هو نحن بني الإسلام وبين الغرب الآخر صاحب الحضارة المادية المستغولة في نظري والتي تتحدث من منطلق الغالب المبتز لغيره أي للآخر الذي هو نحن؛ ولظروف داخلية أيضا في بلادنا العربية والإسلامية وللانبطاح المشهود فإن الكثير من بني جلدتنا هم من تركوا الآخر يطمع فينا حين حواراته معنا عن قصد أو عن غير قصد؛ غير أن الأمل يبقى معقودا على الدوام في النهوض مجددا من كبوتنا ونتحاور من منطلق القوي في يوم من الأيام ولكن الظرف الراهن يفرض علينا التحاور بشروط الآخر الغالب والمتفوق في ميادين كثيرة، ولذلك فالحوار ضرورة حضارية ولا أظنني مخطئا إذا قلت بأنها ضرورة دينية للحفاظ على بيضة الأمة ومحاولة النهوض بها فلا خيارات متاحة لنا الآن في اعتقادي غير الحوار ولكن بمحاولة من أهل الحل والعقد فينا وفي كل من يتصدر للحوار باسم الأمة أقول محاولة إبراز وجهات نظرنا وفرض ما استطعنا منها على الآخر إن كان في الاستطاعة ذلك؛ هذا على المستوى الإمبريقي العملي، وعلى المستوى الفكري فإن الأمل معقود على علماء الأمة ومنظريها ومفكريها بأن يقوم كل منهم بدوره بتوعية أبناء الأمة بضرورة الحوار وغرسها كقيمة حضارية سواء على المستوى الداخلي أوعلى المستوى الخارجي؛ وكذا التخفيف من ضغط الانبهار بالغرب في منطلقاته الفكرية ومسح الغبار وإبراز مميزات حضارتنا المنسية والتي يجب أن نزيح عنها الغبار وأن نعلمها لمن جهلها من أبناء الأمة محاولة منا إعادة عجلة الفكرة الإسلامية إلى مكانها المنوط بها لتلعب هذه الأمة بواسطة أبنائها دورها الحضاري اللائق بها؛ والدفاع عن معتقدنا ومكوناتها الأساسية بطرق علمية هادئة قاصدين من ورائها كسب ود من يخالفنا ربما يوما ما كدعوة له ولغيره ممن يحمل بعضا من الضغينة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ولكن بشرط أن نخطط قبل التنفيذ فلا فكرة ناجحة دون تخطيط مسبق؛ فإذا أردنا نصرة نبينا صلى الله عليه وسلم والرد على من يريدون النيل من شخصه صلى الله عليه وسلم- وهيهات أن يحصل ذلك ـ لا بد علينا بحسن اتباعه صلى الله عليه وسلم؛ وإبراز مناقبه صلى الله عليه وسلم لمن يجهله فمن جهل شخصا عاداها وكال لها التهم السباب وفي اعتقادي هذا ما وقع فيه الكثير من علماء الغرب ومفكرين حين تناولهم لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولا عتب عليهم في نظري لأن كل العتاب يقع علينا نحن لماذا لم نقم بالواجب كما ينبغي.

الهوامش

1ـ الفيروز آبادي. القاموس المحيط. تحقيق: محمد مسعود أحمد؛ (بيروت: المكتبة العصرية ج 1؛ ص 393 وما بعدها، والخليل بن أحمد الفراهيدي .كتاب العين. ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي؛ ط1؛ (بيروت: دار الكتب العليمة؛ 2003م /1424هـ)؛ ج 1؛ ص 371.

2ـ ممدوح العدل. بعض الجوانب النفسية في ظاهرة التحيز. ورقة عمل مقدمة لمؤتمر فكر التحيز الثالث في القاهرة تحت اشراف الاستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري سنة 2007 بجامعة القاهرة؛ من المقدمة بتصرف.

3ـ أول من أطلق هذا المصطلح هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله تعالى وقد استخدم المسيري كلمة "فقه" بدلاً من" علم" لأن الكلمة الأولى حسب رأيه تسترجع البعد الاجتهادي والاحتمالي والإبداعي للمعرفة؛ على عكس كلمة "علم" التي تؤكد جوانب الدقة واليقينية والحيادية والنهائية كما قال.

4ـ باعتبار العرب في الغالب نقلة أمينون للعلوم الغربية دون تمحيص أو نظرية نقدية واثقة؛ وهذا لانبهارهم بكل ما هو آتي من الغرب.

5 ـ نيقولا برديائف. العزلة والمجتمع. ترجمة: علي أدهم؛ ط 2؛ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة. وأفاق عربية للطباعة والنشر؛ 1986) ص37 وما بعدها.

6 ـ عبد الوهاب المسيري. فقه التحيز. ضمن العمل الجماعي: إشكالية التحيز، ط1؛ (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي و نقابة المهندسين. سنة1415هـ1995م) ج1، ص 19.

7ـ علي عزت بيكوفيتش. الإسلام بين الشرق والغرب. مؤسسة بافاريا؛ سنة 1994؛ ص 33.

8ـ عبد الله يوسف. حق الاختلاف مشروعية الرأي الآخر. مجلة الكلمة، العدد 6، السنة الثانية؛ شتاء 1995م/ 1415هـ، مركز الكلمة للدراسات والأبحاث بيروت، ص: 43 .

9 ـ حسن العمري. أسلمة المعرفة عند السيد محمد باقر الصدر. ط 1؛ (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر؛ 1424هـ/ 2003م)، ص: 16 .

10ـ كمال السعيد حبيب. الإسلام والأحزاب السياسية في تركيا. دراسة حالة حزب الرفاه 1983-1997م، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، قسم العلوم السياسية، ص63 وما بعدها وأيضا: تشارلز تيلي. الحركات الاجتماعية 1768-2004. ترجمة وتقديم ربيع وهبة، ط1؛ (القاهرة؛ المجلس الأعلى للثقافة 2005م)، ص 142.

11ـ مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز. (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1427هـ /2006م)؛ ص177. والخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي؛ ط1؛ (بيروت: دار الكتب العليمة؛ 2003م /1424هـ)؛ ج 1؛ ص 370 وما بعدها.

12 ـ ابن منظور. لسان العرب. ط 6؛ (بيروت: دار صادر؛ 1417هـ/1997م)؛ ج 4 ؛ ص 217.

13 ـ القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي وخيري سعيد؛ (القاهرة: المكتبة التوفيقية). ج 10؛ ص 330 وما بعدها.

14 ـ السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (القاهرة: دار الحديث 1426هـ /2005م). ص 939.

15 ـ عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور" رواه ابن ماجه وصححه ح رقم: (3888). ورواه النسائي ح رقم: (5498)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح رقم: (3136).

16 ـ النووي. صحيح مسلم بشرح النووي. مراجعة وضبط وتخريج أحاديثه: محمد ناصر تامر ط 2؛ (القاهرة: دار الفجر للتراث؛ 1425هـ/2004م). المجلد 1؛ ص .295

17 ـ يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي. الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. ط 1؛ (الذمام: دار رمادي للنشر؛ 1414هـ / 1994م)؛ ص 22 وما بعدها.

18 ـ أحمد عبد الرحمن الصويان. الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية. ط 1؛ (الرياض دار الوطن؛ 1413هـ) ص 64 وما بعدها.

19 ـ محمد نبيل النشواتي. الاسلام يتصدى للغرب الملحد. ط1؛ (دمشق: دار القلم؛ 1431هـ/2010م)؛ ص 93 وما بعدها.

20 ـ محمد الغزالي. مع الله. دراسة في الدعوة والدعاة. ط7؛ (دمشق: دار القلم؛ 2005م) ص112. ومصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. ط 1؛ (القاهرة: دار السلام؛ 1988م) ص 22.

21 ـ محمد الغزالي. مئة سؤال عن الإسلام. ط 5؛ (القاهرة: نهضة مصر؛ 2006م) ص .197

22 ـ محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ط 7؛(القاهرة: نهضة مصر؛ 2005م) ص 139 وما بعدها.

23 ـ المرجع السابق نفسه؛ ص 32 و أيضا: محمد الغزالي. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. ط 1 ؛ (دمشق: دار القلم؛ 2006م) ص .243

24 ـ محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. مرجع سابق؛ ص 34 وما بعدها.

25 ـ المرجع السابق نفسه؛ ص 32 وما بعدها.

26 ـ محمد الغزالي. الجانب العاطفي في الإسلام. ط3؛ (القاهرة: نهضة مصر؛ 2005م) ص173 وما بعدها.

27 ـ محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. مرجع سابق ص 48 وما بعدها.

28 ـ محمد الغزالي. مع الله. دراسة في الدعوة والدعاة. مرجع سابق؛ ص 103 وما بعدها.

29 ـ محمد الغزالي. حصاد الغرور. (الجزائر: دار الشهاب؛) ص 102 وما بعدها.
30 ـ محمد الغزالي. الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر. ط2؛ (دمشق: دار القلم؛2001م) ص 16 .
31 ـ محمد الغزالي. مع اللّه. دراسة في الدعوة والدعاة. مرجع سابق؛ ص 114 وما بعدها.
32 ـ محمد الغزالي. علل وأدوية. ط 4؛(دمشق: دار القلم؛ 2003م) ص142 .
33 ـ محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. مرجع سابق؛ ص 35 وما بعدها.
34 ـ محمد الغزالي. مع اللّه. دراسة في الدعوة والدعاة. مرجع سابق؛ ص .116
35 ـ المرجع السابق نفسه؛ ص 114 .
36 ـ المرجع السابق نفسه؛ ص 106.
37 ـ محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. مرجع سابق؛ ص 36.